خريف ١٩٦٨. فخلال اجتماع مع عرفات ومع أعضاء آخرين في المنظمة ارتفعت حدة الكلام وغادر صرطاوي القاعة معلناً في وجه محدثيه: «لقد دخلت هذه القاعة بصفتي عضواً في فتح، وإنني اغادرها بصفتي أميناً عاماً للهيئة العاملة لتحرير فلسطين». وعندها جمع «رجاله» في فتح فاذا بهم ١٧ شخصاً! ومع أنه يشدّد على أن فتح لم تسع إلى تصفيته جسدياً فهو يعيد إلى الأذهان أنه لا يدين، في بقاء منظمته على قيد الحياة، إلّا «لضيافة» القوات العراقية المتمركزة في الأردن. ذلك أن الحكومة العراقية البعثية الجديدة التي أقام معها علاقات ــ إذ أنه سبق ومكث طويلاً في بغداد ــ أمنت له حماية ما لديه من معسكرات تدريب. وهكذا فقد جهّز قوة قوامها مئات من الرجال، ما لبثت أن اضحت واحدة من المنظمات الفلسطينية الرئيسية العشر.

وعرفات نفسه يوجز ظروف هذا التعدّد في ١٤ كانون الثاني (يناير) من العام ١٩٧٠. فبعد أن يذكّر عرفات بوجود منظمات عديدة، يقول[٤]: «اننا لا ننوي الانخراط في عملية التصفية المسلحة، وهذا يعود لأسباب كثيرة: أولاً، لأننا في الأساس لا نؤمن بهذه الطريقة؛ وثانياً، لأن هذه المنظمات، والنزاعات الحاصلة في ما بينها انما هي جزء من النزاع القائم في الأمة العربية، وهل نحن سوى جزء من هذه الأمة؟ وثالثاً، لأن بعض هذه المنظمات مرتبط ببلدان عربية والصدام معها يعني المواجهة العسكرية مع البلد المعني».

وهو في مناسبات لاحقة يظهر التعارض بين «الأسلوب الفيتنامي» (أي المعتمد على جبهة عريضة) و«الأسلوب الجزائري» لحل النزاعات[٥]، مبدياً تفضيله للأول بصورة واضحة. وهنا يعتقد صرطاوي انه في هذا الموقف تكمن نزعة انسانية حقيقية لدى أبرز القادة الفلسطينيين.

أضف إلى ذلك أن التجربة الوحدوية التي تكوّنت لدى «الفريق القيادي» لحركة فتح، سواء في اتحاد الطلاب أم ابان النضال في غزة خلال عامي ١٩٥٥ و١٩٥٦[٦] قد أسهمت، بلا شك، في هذا التساهل القليل الحدوث.

ويؤدي هذا التنوع المقبول به على صعيد المنظمات الفلسطينية الى نتائج مهمة. فاذا بالوحدة والاتفاق يصبحان مهمة جوهرية؛ لأن وضع المقاومة المعقد (في مواجهة «المؤامرات» الرجعية وفي مواجهة محاولات الحل السياسي) يتطلب وحدة جميع القوى الفلسطينية. ثم لأنها الوسيلة الفضلى للحصول على أوسع الدعم من البلدان العربية، وللحؤول دون تمكّن هذه الأخيرة من استغلال التناقضات الفلسطينية.

إن هذا التركيز على أولوية الوحدة وهذا البحث الدائب عن سبل للاتفاق، واللذان يتجلّيان سواء في أبحاث اجتماعات المجلس الوطني الفلسطيني أم في شتى المشاريع «الوحدوية»، المنفّذ منها وغير المنفّذ، انما يشكلان احد المداخل لفهم المناقشات التي قامت بين عامي ١٩٦٧ و١٩٧٠. كما يفسران طابع المقاومة «الفوضوي»، على الأقل، كما تبدو للمراقبين: منظمات تتصارع؛ قادة يُدلون بتصريحات متناقضة؛ وما إلى ذلك.